

أن يسير في معيشته على ضوء من حياة الغني المثري . ومن ثم مست الحاجة الى أن تكون الحياة المحمدية جامعة يجد فيها الناس كلهم على اختلاف طوائفهم الاسوة الكاملة في جميع ألوان الحياة وأطوارها . وإن مثلها كمثل الباقية الجامعة لكل أصناف الزهور والورود بجميع ألوانها : ففيها الأحمر القاني والأبيض الناصع والأخضر الناضر والأصفر الفاقع .

وفي البشر طوائف مختلفة وفرق شتى تحتاج كلها الى حياة مثالية تكون نموذجاً لها في حياتها ومعيشتها . ولكل إنسان من هذه الطوائف أعمال وأحوال تتقلب عليه بتقلب الظروف : بين قيام وقعود ومشى وأكل وشرب ونوم ويقظة وضحك وبكاء وارتداء الملابس وخلعها وأخذ وعطاء وتعلم وتعليم ، وقد يموت حتف أنفه أو يقتل ، ويكون محسناً لغيره أو محتاجاً لإحسان الآخرين إليه ، وقد يكون في عبادة ربه أو في معاملة الناس ومعاشرتهم ، وقد ينزل على غيره ضيفاً أو يستقبل الضيف ويقوم له بحق القرى . هذه الأحوال وغيرها تطرأ على الإنسان وتعرض له فيما يتعلق بجسمه وجوارحه فيحتاج في كل حال منها إلى هداية نافعة وأسوة كاملة .

وأعظم من الأسوة في أعمال الإنسان الظاهرة ، الأسوة فيما يتعلق بخطر القلوب ومجالات الفكر ونزعات العواطف ، فنحن نشعر بين كل حين وآخر بنزعات وعواطف تخالج قلوبنا وأفكارنا ، فنرضى ونسخط ، ونفرح ونحزن ، وتعترينا السكينة والطمأنينة أو القلق والضجر . وتترتب على هذه الأحوال عواطف مختلفة ونوازع متعدّدة . وليس الخلق الحسن إلا التعديل بين هذه الأحوال وإقامة الوزن بالقسط بين العواطف القوية والنوازع الشائرة . ولا يحظى بنصيبه من مكارم الأخلاق إلا الذي يعرف كيف يكبح النفس عند جموحها ويحسن التصرف فيها وقت ثورتها . ومع ذلك فلا بد للإنسان من إمام تكون له فيه الاسوة